الفصل الخامس والعشرون

ابتداء الهجوم العام

وصف مكاتب جريدة (نوفى فريميا) الروسية حصون (بورت ارثور) حينما زارها بأنها « كعش النسر » مبالغة فى ارتفاعها ومنعتها . نعم أنها كذلك فعلى امتداد النظر كان كل جبل وكل تل مغطى بالقلاع والمتاريس مما جعل قوتها أضعافا مضاعفة أما المدافعون عنها فكانوا جميعهم جنودا بواسل دربهم القائد (دراجا ميلوف) الروسى وهم من خلاصة الجيش الروسى وكنا أمام هذه القلعة نحاول أن نبرهن أن بعض المستحيلات جائز وكان ابتداء هجومنا العام على هذه القلعة يوم ٩ اغسطس وهو حادث سيخلد فى بطون التواريخ الى الابد وقد استمرت الوقائع نحو أربعة أشهر حزنا شرف النصر فى آخرها بثمن غال جدا حيث كنا نقذف بأجسامنا بدل الرصاص والقنابل وذلك مما أدهش العالم بأسره

ولما كنا فى أسفل (تاكوشان) أسرعنا فى عمل التجهيزات المختلفة للهجوم وكنا نعمل استكشافات عن الطرق ووسائط مقابلة عراقيل السلوك التى كان يتكل عليها العدو ويجملها من أهم أعماله الاستحكامية فى خط المدافعة الامامى وقد قتل منها عدد عظيم من رجالنا فى الوقائع السابقة وكانت جميع التلول التى ننظرها سواء كانت كبيرة أو صغيرة ومرتفعة أو منخفضة سوداء لوجود هذه الموانع الاستحكامية عليها

ومن الضرورى ازالة هذه الموانع واقتحامها وذلك من اختصاصات

المهندسين الذين كانوا قليلين والعراقيل كثيرة ولذا تعلمت البيادة كيف يقطعونها بأنفسهم ولقد صنعنا عراقيل تقليدية من قبل على شاطىء نهر (تاكو) وعلمنا المهندسون كيف نكسرها ونعمل الطرق فيها لنقتحمها

وهذا العمل كان من ضروريانا المستعجلة ولذا تمرنا عليه بهمة ونشاط ولكن فى الحروبات الحالية لايمكن عمل هذا بسهولة لان المهندسين البائسين يكونون معرضين لمقذوفات العدو مباشرة وزيادة على ذلك وجد أن هذه السلوك كانت مكهربة وقد اختلف فى التيار الكهربائى فالبعض يقول أن التيار كان يميت بمجرد اللمس والبعض الآخر يقول أن تياره كان خفيفا لغرض اعلام قلاع العدو بقرب الهاجمين ومهما كان الحال فلا يمكنا أن نقطع السلوك بمقصات عادية لانها مكهربة فعولنا على ربط قضبان من الفاب فى أيدى المقصات لعدم توصيل الكهرباء لايدينا وباختبار السلوك فى أثناء المعركة اتضح ان التيار كان شديدا جداً حتى ان بعض رجالنا ماتوا فى الحال بمجرد لمسها وآخرون شلت أعضاؤهم وكنا تمرنا على كيفية عبور خنادق العدو بواسطة السلالم ولكن وجدنا ان خنادقهم كانت واسعة عن طول سلالمنا وفضلا عما ذكر فقد كانت القلعة محمية بالغام ارضية مدفونة فى كل طريق وكنا نراهم بنظاراتنا يدفنونها هنا وهناك فكنا نعلم هذه المحلات على خرطتنا فعرفنا كل شىء بقدر الامكان وكان من الصعب جداً المرور من هذه المحلات بسلام وفوق كل ذلك كانت جميع المدافع والبنادق الموجودة بالقلاع وخنادق النيران موضوعة بكيفية تيسر التمشين منها على كل مضيق وكل صخرة وبذلك لا يمكن لاحد منا أن يفر من النيران المتجهة الينا من كل صوب

وفي فجر ١٩ اغسطس ابتدأ جميع خط طوبجيتنا ضرب النار في وقت واحد وكان غرضها الاصلي هو شرقي (شيكوانشان) ولكن في الوقت نفسه كانت تطلق أيضا على القلاع الاخرى وهذه كانت أول خطوة في هجومنا العام وبعد قليل تقدمت قولاتنا المهاجمة تحت ستار نار طوبجيتنا مقتربة من العدو خطوة بعد خطوة مستعدين للهجوم عليهم يدا واحدة حينما تبتدئ نيراننا ان تؤثر عليهم فقصرت بطارياتنا جميع نشاطها على هدم القلاع وتفتيت سواتر العدو وعمل فتحات في خنادقه حتى يمكن ان تمر منها جماعاتنا المهاجمة

وما ضربنا حتى جاوب العدو بجميع بطارياته وحاولوا كثيرا ان يسكتوا طوبجيتنا ويوقفوا تقدم بيادتنا وما كان افظع المنظر حينما كانت القنابل الكبيرة تجاوب بعضها من الجانبين وكانت القنابل المفرقعة التي حجمها كالبراميل والقنابل الكروية تحدث صفيرا في الهواء وصدى صراخها يجعل صوت الرعد بجانبها كلا شيء وفرقعة القنابل كانت تنشر برقا في كل مكان والدخان يغطي الجو بغيوم سميكة يكاد يستحيل التنفس فيه واننا سميناها « قنابل القطار » لانها كانت تصفر كصفير قطار ترك المحطة وهو يصفر وكانت تهتز الارض لدويها

وكان تصميمنا أن نضرب يومين أو ثلاثة بالقنابل ثم تهجم بيادتنا وكانت الاضواء كثيرة جداً بواسطة نور البحث والقنابل النجمية حتى كان الليل كأنه نهار وذلك غير ما كنا نتمناه لان الظلام يساعدنا على الهجوم تحت جنحه وعند ما نقلت رياسة أركان حرب فرقتنا الى سفح (تاكوشان)

الشمالى كان قائد فرقتنا وأركان حربه يشاهدون العدو واذا بمقذوف قتل كلا من الاركان حربين والقائد فى الوسط لم يصبه ولا جرح خفيف والذين فى مقدمة الهجوم على قلعة أكثر تعرضا للاصابة ولربما تحمل من بالخلف خسائر أكثر ممن فى المقدمة ولقد قال نابليون « ان الطلقة تصوب نحوك لا تصيبك ولو تعرضت لها وان قدر أن تصاب فانها تتبعك حتى اذا هربت » وأتذكر بعد موقعة (تابيوشان) ان ستة جنود روسية كانوا متقهقرين ببطء فأطلق كل منا بندقيته عليهم فلم يصب أحد منهم

الفصل السادس والعشرون

مطر الرصاص البشرى

كانت جثث الموتى البواسل تبنى رابية فوق أخرى ودماؤهم تجري كالجداول فى الوديان ولقد صار ميدان القتال مقبرة والتل والوادى مشتعلان بالنيران وبعد دقائق وثوانى كانت الارواح الواحدة بعد الاخرى تسير الى عالمها العلوى وكان امتزاج القوة بالسلاح والذخيرة يضعف قوة العدو ولا شك أن النتيجة هى النصر النهائي وتلك القوة هى السونكى وصياح الحرب معا ولان السونكى المضيئة والصراخ الفظيع اذا اختلطا معا يهرب منهما العدو ولقد قال مكاتب (لندن استندارد) « حقا ان صراخ حرب الجيش الياباني كان يثقب قلوب الروسيين » ولكن مهما كانت كثرة ضوء سونكياتنا وصراخنا مخيفا للعدو الا أنه لا يسعنى الا أن أبكى حينما أتذكر هذه المهاجمة لان ضوء